

الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر والفيلم الوثائقي

"La Tassili de l'Immidir"

Rock Art of the Tassili N'Ajjer and the Documentary « La Tassili de l'Immidir »

مغربي أسماء^{1*}، طامر أنوال²¹ جامعة أحمد بن بلة-وهران 1، الجزائر، asmayasmine92@gmail.com² جامعة أحمد بن بلة-وهران 1، الجزائر، tameurennouel@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/09/01 تاريخ القبول: 2024/10/04 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: تستكشف هذه الورقة البحثية التداخل الفني بين الرسوم الصخرية وسينما الواقع، وذلك من خلال احتضان هذه الأخيرة لهذا النوع الفني عن طريق الفيلم الوثائقي. هذا الجنس السينمائي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على رصد الحقائق والوقائع، حيث سلطنا الضوء على رصد عصارة المعلومات التاريخية وحتى الأنثروبولوجية الخاصة بالرسوم الصخرية الواقعة بالطاسيلي ناجر من خلال الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir للوصول من خلاله للهدف الرئيسي للبحث والمتمثل في إيضاح مدى أهمية هذا الفيلم في التعريف بالرسوم الصخرية وكذلك تقريب الصورة للمشاهد التي تشهد على عراقة تراثنا وهويتنا.

كلمات مفتاحية: الرسوم الصخرية، الفيلم السينمائي، الفيلم الوثائقي، سينما الواقع، الطاسيلي ناجر.

Abstract: This research paper explores the artistic overlap between rock paintings and reality cinema, through the latter's embraces of this artistic genre through documentary film. This cinematic genre, which depends primarily on the observation of facts and events, sheds light on the historical and even anthropological information of the rock art found in Tassili N'Ajjer. The documentary «La Tassili de l'Immidir» serves as a key tool for achieving the main research objective, which is to demonstrate the significance of this documentary in promoting rock art and bringing the viewer closer to images that testify to the antiquity of our heritage and identity.

Keywords: Rock Art; Cinematic Film; Documentary Film; Direct Cinema; Tassili N'Ajjer.

1. مقدمة:

تعتبر الرسوم الصخرية نتاجا فكريا لحضارة الإنسان الأول، ودليلا واضحا على قيام حضارة ضاربة في عمق التاريخ هي حضارة الإنسان الأول، فمنطقة الطاسيلي ناجر هي أحد وأهم المناطق التي استوطنها الإنسان البدائي في الجزائر ومارس فيها مختلف شعائره وعقائده فمثل واقعه المعاش وحياته اليومية كالصيد والرعي وغير ذلك من الأنشطة اليومية التي مارسها، إضافة إلى بعض الطقوس والعبادات العقائدية، والشاهد على ذلك الرسوم الجدارية التي تركها على الصخور في المنطقة منذ حقب زمنية غابرة، والتي بقيت صامدة إلى يومنا هذا رغم الظروف الطبيعية، وإلى هذا الزمن بقيت هذه الرسوم الخالدة رمزا من رموز ثقافتنا وهويتنا ودليلا واضحا على عراقتنا وأصالتنا، وسرا غامضا يشغل الباحثين والمستكشفين حول حقيقة هذه الرسوم والأشكال والرموز، كما شغلت اهتمام المخرجين السينمائيين فأنتجت العديد والعديد من الأفلام الوثائقية حول المنطقة وحول هذه الرسوم تروي قصة حضارة وقصة شعب نشأ في أحضان مجتمع صُعب التعايش معه. من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتستكشف التداخل الفني بين الرسوم الصخرية والفيلم الوثائقي عن طريق الولوج إلى الأفلام الوثائقية التي كان محورها الرسم الصخري بالطاسيلي، فتم التركيز على الفيلم الوثائقي " La Tassili de l'Immidir " وضمن هذا السياق تتضح معالم إشكالية البحث في التساؤلات التالية: كيف ساهم الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir في التعريف بهذا الإرث الثقافي العالمي؟ وكيف عكس هذا الفيلم القيم الثقافية والتاريخية للرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر؟ وما هي الرسالة المستخلصة والمستفادة من هذا الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir ؟ وما هي الدوافع وراء إنتاج هذا النوع السينمائي الخاص بمنطقة الطاسيلي؟.

وعليه، تتضح معالم فرضيات البحث حول مساهمة الفيلم الوثائقي في التعريف والحفاظ على الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر عن طريق التوثيق والتسجيل الذي من شأنه حماية هذه الرسوم من التلف والاندثار، كما يمكن أن تكون الدوافع وراء إنتاج هذا النوع السينمائي لأجل توعية الجمهور المتلقي بالقيمة التاريخية والثقافية لهذه الرسوم، كذلك

التثقيف وتقديم معلومات حول تاريخها و معانيها كما يمكن أن يكون ترويجا للمنطقة وتقديم خدمات سياحية لجذب الزوار من أجل التعرف على هذه الرسومات عن كثب.

تسعى هذه الدراسة إلى السعي لإيجاد سبل للتعريف بمنطقة الطاسيلي ناجر وإبراز أهمية الفيلم الوثائقي في التعريف بالرسوم الصخرية بالمنطقة، لما تقدمه سينما الواقع من رصد الوقائع الاجتماعية والحقائق التاريخية، وكيفية معالجته لها عن طريق إبراز الصورة الواقعية للرسوم الصخرية.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من أجل تحقيق أهداف البحث والوصول إلى جمع البيانات والحقائق عن طريق عينة البحث المتمثلة في الفيلم الوثائقي Tassili de l'Immidir الذي كان محوره متعلقا بالرسوم الصخرية بالطاسيلي.

2. التداخل الفني بين الفيلم الوثائقي والرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر.

يعتبر الفيلم الوثائقي أحد الأجناس السينمائية التي تعتمد بالدرجة الأولى على رصد الحقائق والوقائع التاريخية و نقلها للمشاهد بصورة واقعية وصادقة. كما انتقل هذا الجنس من السينما إلى التلفزيون فأصبحت بعض القنوات التلفزيونية متخصصة في إنتاج الأفلام الوثائقية كقناة الجزيرة الوثائقية وشركات إنتاج وثائقي مثل بي بي سي BBC وناشيونال جيوغرافيك National Géographique...الخ على سبيل المثال.

واجه مفهوم الفيلم الوثائقي صعوبة في التحديد بسبب اتساع نطاقه، حيث شمل المصطلح أنواعا مختلفة مثل الفيلم التسجيلي، الفيلم التعليمي، الفيلم الواقعي والتشويقي. ولم يتبلور مفهومه بالمعنى المعروف حاليا إلا مع مطلع القرن العشرين، حيث ظهر أول تعريف للوثائقي في المقال الذي كتبه "جون غريرسون" John Grierson بمجلة New York son سنة 1926: " أنه معالجة الأحداث الواقعية الجارية وفيه خلق فني"¹ ويؤكد ذلك George Sadoul بأن الفيلم الوثائقي أخذ اتجاه سينماتوغرافي منذ سنة 1906 أما بعد 1914 فقد أضحي مصطلحا من خلال المقال الذي كتبه غريرسون² ويعرفه: "بأنه كل

إنتاج سينماتوغرافي لا يصدر عن الخيال ويرتبط بوصف واسترجاع الواقع، إنه عبارة عن اختيار علمي وفلسفي للفن السابع³.

لم يظهر تحديد دقيق لمفهوم الفيلم الوثائقي إلا مع مطلع القرن الماضي حين تناوله Grierson الذي أكد على الدقة والواقعية في تقديم المعلومات بطريقة إبداعية وفنية، كما بيّن من خلال تعريفه أن هذا النوع السينمائي يرتكز على الظواهر و المواد الخام الموجودة أمام الكاميرا والتي يقوم المخرج بتصورها، إذن فإشكالية تحديد المصطلح وضعت الباحثين أمام مفترق طرق للوصول إلى تعريف جامع للفيلم الوثائقي. لذلك حدد Grierson خصائصا ثلاثا لا بد من توفرها ليصبح الفيلم حقيقيا تمثلت في الاعتماد على التنقل والانتقاء من الحياة نفسها بمعنى عدم الاعتماد على البيئة المصطنعة، الأشخاص والمناظر تختار من الواقع الحي بمعنى عدم انتقاء ممثلين محترفين أو حتى مناظر مفتعلة داخل الاستديو، كذلك مادة الفيلم تختار من الطبيعة دون تأليف⁴.

استخدام عبارة Film Documentarie أول مرة إلى الفرنسيين وذلك في وصف أفلام الرحلات Film de voyage التي كانت تتناول موضوعات عن المكان أو الحدث أو الشخص⁵، أما بالنسبة لمفهوم الوثائقي عند لانجليز فهو نوع من الأفلام التسجيلية الوثائقية Documentary Film ولم هذا النوع من الأفلام عندهم على تسجيل الحقيقة الواقعة وإنما يضاف إليها الرأي⁶.

من خلال هذه التعاريف يظهر لنا أن الفيلم الوثائقي مادة فنية تعتمد على الحقائق من خلال تناول قضية حقيقية، وأشخاص حقيقيون لهم علاقة بهذه القضية بهدف إيصال رسالة معينة للجمهور المشاهد أو المتلقي. ويظهر من خلال ذلك أنه يمكن للمخرج أو الإعلامي الذي ينجز الأفلام الوثائقية الاستعانة بإعادة تصوير وتركيب الأحداث عن طريق التمثيل بمراعاة الحقيقة أكثر من الخيال خلافا للفيلم الروائي الخيالي، وإن كانت الأفلام الوثائقية تجمع في معظمها بين الحقيقة والخيال طلبا للتشويق والإثارة⁷.

كما أن هذا النوع السينمائي لا يهدف إلى الربح المادي والتسلية بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف خاصة ترتبط بالنواحي الإعلامية أو التعليمية أو الثقافية أو حفظ التراث والتاريخ، مخاطبا دائما العقل بشكل أو بآخر.⁸

طرحنا عدّة تعريفات لضبط مصطلح الفيلم الوثائقي سواء في اللغة الفرنسية أو الانجليزية وحتى اللغة العربية، وكل هذه التعاريف أوضحت مفهوم الفيلم الوثائقي، حيث يعتبر أداة قوية وفعّالة للتواصل مع الجمهور كما يلعب دورا مهما في نشر المعرفة والتوعية حول مختلف القضايا، كذلك يمكن له المساهمة في حفظ التراث والتاريخ للأجيال القادمة رغم التحديات التي تواجه صانعي الأفلام الوثائقية فإنه يبقى من أكثر الأنواع السينمائية التي تشكل ثقافتنا والتأثير على مجتمعاتنا.

يعتبر فيلم Nannok of the North "نانوك رجل الشمال" أول فيلم تسجيلي متكامل، حيث قام روبرت فلاهري بتصوير حياة الإسكيمو وذلك في عام 1915 بواسطة كاميرا سينمائية بدائية، حيث عاش أبطال فيلمه (نانوك وأسرته) وهم يسعون من أجل كسب الرزق في بيئة قاسية موحشة.⁹ حيث بنى فلاهري قصته من واقع الإقامة سنوات مع سكان الإسكيمو، الذين سعدوا بالمشاركة في مشروعه وقدموا له الكثير من الأفكار للحبكة.¹⁰

تستلهم الأجناس الفنية مواضيعا من الفن التشكيلي لإثراء الفن عامة من مختلف مناحيه وتعزيز التفاعل بين هذه الأجناس، فيستلهم الفنانون والمسرحيون والسينمائيون أفكارهم من الفن التشكيلي لخلق أعمال جديدة تعكس رؤيتهم الخاصة وتقدم تجارب فنية جديدة، والسينما هي الأخرى تستلهم مواضيعها من الفن التشكيلي لإنتاج مختلف الأفلام التاريخية والروائية وكذا الأفلام الوثائقية، ومن أشهر شركات الإنتاج في هذا المجال هي شركة (التمساني إخوان) التي تنتمي للإخوة التلمساني بمصر، أنتجت هذه الشركة العديد من الأفلام الوثائقية ذات القيمة الفنية من بينها: دار الفن في القرية، فنون الخط العربي، زخارف عربية... الخ.

ارتبط الفيلم الوثائقي بمناحي الحياة المختلفة في الحياة، كما ارتبط بالمعالم الأثرية وبالرسوم الصخرية المتواجدة بالطاسيلي جنوب شرق الجزائر، والتي تشهد على حضارة صاربة في عمق التاريخ ترجع لآلاف السنين، ما دفع بالمرجعين والمهتمين بالمجال السينمائي لإنتاج العديد من الأفلام الوثائقية حول هذه الرسومات الصخرية للتعريف بتاريخ المنطقة متخذين من الأحداث التاريخية أساسا جوهريا لمعالجة التيمة برؤية إبداعية وأسلوب فني، بهدف تحقيق التواصل الانساني ومعالجة الثغرات وقصور المعرفة التاريخية بكيان فني خاص. ان وعي الفنان السينمائي يتراوح استحضار الحدث التاريخي بأمانة وإعادة صياغته في قالب جمالي يعكس واقعه كما حدث في الماضي، أو تحويله دون المساس بجوهره الأصلي.¹¹

وظّف الفيلم الوثائقي كأداة فعالة لنقل هذا الإرث الحضاري إلى العالم، فقد ساهمت أفلام مثل: إيميدير، الطاسيلي المنسي (Bernosal, 2002) وحصاد الصحراء (Marceau CAST, 2000) و مناطق الهقار والطاسيلي ناجر (Dida BADI, 2004) و عندما يكتب المناخ التاريخ (Les cahiers SCIENCE et VIE, 2015)، كذا الجزائر، مليوني عام من التاريخ، هندسة أولى (Yasmina CHAID, 2003) والجزائر، مليوني عام من التاريخ، فن الأصول (Djazair, 2003). في تعريف الجمهور بهذه الرسوم، و ربطها بسياقها التاريخي والثقافي، كذلك أتاحت الفرصة للتفاعل معها بطريقة إبداعية جعلت من هذه الأفلام الوثائقية جسرا يربط بين حاضرننا وماضينا، وأداة أتاحت للعالم استكشاف منطقة طاسيلي ناجر، وفهم الحضارة العظيمة التي نشأت في المنطقة.

3. التقنيات البصرية للفيلم الوثائقي "La Tassili de l'Immidir"

1.3 بطاقة فنية لمخرج الفيلم الوثائقي:

"بوزيد ولد حسين" Bouzid OULD HOCINE مخرج أفلام علمية و وثائقية، من مواليد سنة 1959 ، متحصل على شهادة مهندس دولة في الكيمياء الصناعية، تخصص

هندسة البيئة من جامعة العلوم والتكنولوجيا في الجزائر وهو مهندس دولة في الكيمياء الصناعية، دخل مجال السينما وعمل مخرجا لأفلام علمية في معهد علوم البحار في الجزائر من عام 1983 إلى عام 2000.¹²

يعمل حاليا مخرج في l'ENTV, Canal Algérie و من بين أفلامه الأخيرة:

• « *Les saints du Gourara. Regard d'un* »

« *anthropologue* - القديسون في قورارة, نظرة أنثروبولوجية (26 دقيقة- 2011).

• « *Un clown au Sahara* » - مهرج في الصحراء (26 دقيقة- 2012).

• « *L'Algérie des Algériens* » - الجزائر للجزائريين (80 دقيقة- 2013).

• « *Aux Armes indigènes* » - السلاح للأهالي (26 دقيقة- 2014).

• « *Peintures rupestres de l'Immidir* » - الرسوم الصخرية في إيميدير (26 دقيقة- 2016).

2.3 بطاقة فنية للفيلم:

*عنوان الفيلم: Tassili de l'Immidir-Mémoire Iconographique

*سيناريو و إخراج: بوزيد ولد حسين و نوال بلعيد

*نوع الفيلم: وثائقي

*التركيب و المونتاج: غنية غادة

*مدير التصوير: شريف عمار واضح

*المسؤول عن الصوت: محمد ملايرة

*أنفوغرافيا: وسام بودرسة

*إنتاج: ناصر بسي/ نوال بلعيدي

*المستشارون العلميون: فريد إغيلاهري/ أحمد عوالي/ إيدير عمارة/ رشيد بليل.

*فريق علماء الآثار: سمير عمروش/ فاروق عرابي/ صلاح بن عبد الله/ عيسى

حمو صلاح/ عبد القادر ريراش.

*المرشدون: باي آغ إلياس/ بابا آغ إلياس/ رهيبار آغ إلياس/ سي محمد آغ إلياس/

محمد آغ إلياس/ إبراهيم آغ فاسي.

*مكان التصوير: صحراء الجزائر، الطاسيلي

*اللغة: الفرنسية (مع الترجمة إلى الفرنسية)

*سنة الصدور: 2015

*مدة الفيلم: 40:22 د

*جنسية الفيلم: جزائرية

*إنتاج: ONPCA (Office National du Parc Culturel de l'Ahaggar)

Tamanrasset

*توزيع: CANAL ALGERIE

*مدير القناة: محمد شرقات

*رابط الفيلم على اليوتيوب: <https://youtu.be/1biPstKTV2o?si=MHjt->

[OJQXLekglWD](https://youtu.be/1biPstKTV2o?si=MHjt-)

3.3 ملخص الفيلم:

فيلم La Tassili de l'Immidir هو فيلم وثائقي عن فن الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر جنوب الجزائر، حيث يعرض الفيلم رحلة علمية لبعض علماء الآثار وبعض المستشارين إلى غابة الصخور، الطاسيلي ناجر مواجهين في رحلتهم بعض الصعوبات والعراقيل والتي لم تكن حاجزا أمامهم لإجراء دراستهم العلمية محاولين إيجاد استكشافات جديدة حول اللوحات والمنحوتات التي أنشأها سكان المنطقة منذ آلاف السنين، والتي تجسد حياة الإنسان في تلك الحقبة من عادات ومعتقدات وممارسات دينية وعلاقات مع الوسط المعيشي.

4.3 التحليل التعيني والتضميني للفيلم الوثائقي:

أولاً: متتالية الفضاء والزمان وجينيريك بداية الفيلم:

قبل الاستهلال إلى المشاهد الفيلمية التي تطرق إليها المخرج في هذا الفيلم الوثائقي، فإننا نتناول عنوان الفيلم الذي بين أيدينا "La Tassili de l'Immidir" الذي يشير إلى مصداقية ودقة وموضوعية الفيلم، وهو عنوان يشير إلى عمق التاريخ والثقافة في منطقة الطاسيلي الصحراوية الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر، والتي تتميز بتراثها العريق المتمثل في الرسوم الصخرية الصامدة في وجه قسوة الصحراء. ومن جبل إيميدير كعلامة بارزة في المنطقة يكشف لنا المخرج أسرار هذه الرسوم، كما يقدم لنا العنوان لمحة واضحة عن محتوى الفيلم مما يدفع بنا للفضول حول معرفة المزيد عن منطقة الطاسيلي.

يكون الجينيريك في غالب الأحيان لائحة قصيرة في بداية الفيلم وطويلة في نهايته تتضمن المعلومات الخاصة بصانعي الفيلم، وفي الفيلم La Tassili de l'Immidir تم التركيز في البداية على العنوان واسم المخرج فقط، أما في النهاية فتم عرض كل معلومات صانعي هذا الفيلم الوثائقي من تركيب وإنتاج ومسؤولين عن الصوت و الصورة...الخ، والملاحظ هنا أن توزيع هذه العناصر جاء بشكل متوازن، كما تم استخدام موسيقى صحراوية

تخلق الإحساس والشعور بالانتماء كونها جزء من التاريخ والثقافة، ونظرا لأهمية اللون في الجينيريك فقد تم استخدام الألوان في هذا الفيلم نظرا لمحتواه وذلك لوضع المشاهد ضمن حلقة معرفية حول ذلك.

يعدّ صوت الراوي من العناصر المهمة في الفيلم الوثائقي لما يقدمه من معلومات وشرح للأحداث وكذا خلق جو معيّن في الفيلم، وفي هذا الفيلم La Tassili de l'Immidir جاء صوت الراوي بنبرة هادئة وواثقة، وبطبقة عالية لإضفاء شعور بالرسمية أو الجديّة كما أن سرعة الصوت جاءت متوسطة لتقديم المعلومات حول منطقة الطاسيلي وموقعها وتاريخها بأسلوب تميز بالوضوح التام لضمان فهم المشاهد للمعلومات المقدمة.

أما بالنسبة للموسيقى التصويرية فتم استخدام الموسيقى الصحراوية التارقية التي كانت مصاحبة لكافة اللقطات وذلك لربط الفيلم بثقافة المنطقة، بإيقاع بطيء يخلق شعورا بالهدوء والتأمل في مكنونات هذا الإرث الثقافي، كما أن التناغم في هذه الموسيقى جاء بتناغمات متناسقة ومتناغمة. كما جاءت زوايا التصوير الجامعة بين السماء وشساعة الرمال بزوايا مستوى العين لإضفاء شعور بالواقعية، كما تم التركيز على التصوير بشكل واسع لإظهار المشهد بأكمله.

استهل المخرج فيلمه الوثائقي بمجموعة من المناظر الطبيعية الصحراوية بمنطقة الطاسيلي مرفقة بموسيقى تارقية والتي من شأنها وضع المشاهد داخل دائرة معرفية واضحة الأركان حول مكان الفيلم وثقافته، للانتقال مباشرة للمشهد الأول الذي يصور انطلاق شاحنات الرحلة المحملة بالأمّعة والمعدات من تمرّاست نحو الأفق البعيد لاكتشاف آثار الطاسيلي. تتعاقب المشاهد بعدها تصور مناظر طبيعة من الصحراء مرفوقة بمعلومات جغرافية وتاريخية لتكشف عن أسرار الصحراء الغامضة وتعرف بالمنطقة وتاريخها العريق. بعد سير مسافة 250km يتم قضاء الليلة الأولى في زاوية "مولاي لحسن" الواقعة على الطريق الرابط بين تمرّاست وعين صالح لمواصلة الرحلة في اليوم التالي.

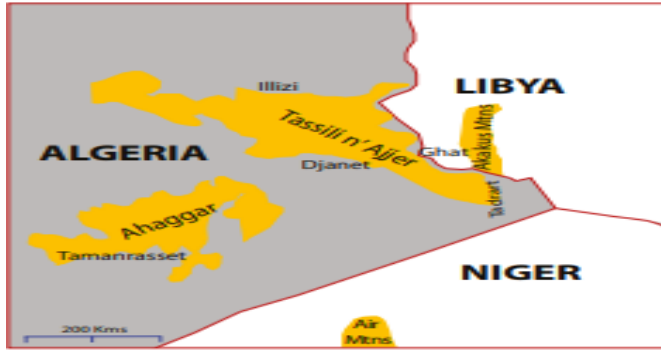
الشكل 1: شاحنات الفرقة العلمية في الصحراء



المصدر: مشهد مقتطف من الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir

يُظهر البناء المشهدي للفيلم حرص المخرج على توظيف المعطيات الإخبارية في بداية الفيلم لتسليط الضوء على تفاصيل الرحلة العلمية منذ الانطلاق وإلى غاية الوصول إلى La Tassili de l'Immidir . تهدف هذه المشاهد التمهيدية إلى تعريف المتلقي بزمان ومكان الأحداث، وشرح القضية المطروحة والتي تتمثل في استكشاف الرسوم الصخرية بمنطقة الطاسيلي، حيث تُمثّل هذه المتتالية الدافع الأساسي للفيلم، والتي تعدّ نقطة أساسية لفهم الموضوع وتحليله. تم التركيز على مجموعة واسعة من الرسوم الصخرية التي تم التقاطها أثناء الرحلة والتي تترجم معالم حضارة الإنسان الأول الذي عاش بالمنطقة قبل آلاف السنين. تعتبر الحظيرة الثقافية للطاسيلي ناجر الممتدة على مساحة 80 ألف كيلومتر مربع، من أغنى مناطق الفن الصخري، تقع في جنوب شرق الجزائر، محدّة من الجنوب الغربي بالحديقة الوطنية الهقار، ومن الشرق والجنوب يحد بمحميات في ليبيا والنيجر.¹³

الشكل 2: الموقع الجغرافي لمحمية الطاسيلي



المصدر: David Coulson and Alec Campbell، Rock Art of the Tassili n'Ajjer،

24، 2022

من خلال ذلك يمكن القول أن المخرج تعتمد استخدام المعطيات الإخبارية كبداية للفيلم، من أجل التعريف بمنطقة الطاسيلي ناجر وما تحويه من آثار تاريخية وذلك من خلال إبراز الموقع الجغرافي والمساحة، ولهذه المشاهد التمهيدية وظيفة هامة في جذب انتباه المشاهد وإعداده للموضوع التي يتم تناوله، كما لها وظيفة تعريف وإخبار المشاهد بزمكانية الأحداث للقضية المطروحة في هذا الفيلم الوثائقي، حيث تترجم هذه المشاهد الدلالات التاريخية العميقة التي تخفيها الصحراء الجزائرية فشساعة المساحة من الرمال ذات الألوان المتعددة وتكوينات الصخور الفريدة مع ندرة الغطاء النباتي تضي شعورا بالجمال والقسوة في نفس الوقت، كما تضي الظلال الطويلة والضوء الخافت على المشاهد شعورا بالغرابة والغموض، كما تشير هذه المشاهد أيضا إلى تاريخ المنطقة وثقافتها الغنية باعتبارها موطن العديد من الحضارات على مر العصور، كما أنها رمزا للتحدي والصمود في أصعب الظروف.

تحول المخرج بعدها لعرض شاحنات الفرقة العلمية وهي تنطلق إلى أعماق الصحراء مرفقة بموسيقى صحراوية هادئة وصوت الراوي حيث جاء التعليق عليها كالتالي: " En allant a la découverte de l'Ahgar une étrange sensation envahi le

visiteur. Une sorte de fascination qui frise l'envoutement, ici il n'y a
" guère de place pour la différence

ومن خلال الربط بين ما قدمه المشهد وما تضمنه التعليق يمكن أن نستنتج أن
العبارات الواردة في التعليق جاءت صريحة لوصف واستكشاف الصحراء الجزائرية عموما
ومنطقة الطاسيلي ناجر على وجه الخصوص.

كما أن الدلالات الألسنية وراء هذه العبارات تكمن في إثارة الشعور بالغرابة والسحر
عند اكتشاف المكان حيث يوحى بتجربة سامية تتجاوز المألوف وتسعى للكشف عن حقائق
خفية، كما أن اختيار المخرج للقطعة الشاحنات المرفقة بالتعليق من شأنها توضيح وتمثيل
الواقع و التي كانت جديرة ليتخذها المخرج كبداية في بناء فيلمه الوثائقي للإحالة أن الفيلم
يسرد قصة رحلة استكشافية في الصحراء الجزائرية.

ثانيا: متتالية المغامرين المستكشفين للصحراء .

بعد الوصول إلى موقع الطاسيلي، الواقع عند سفح ممر إيميدير يتحول المخرج في
عرض مشهد القوافل التي تصعد القمم في الطاسيلي ناجر، لأن تسلق الممر سيكون على
الأقدام، مع الإبقاء على الموسيقى التارقية التقليدية، حيث جاء الخطاب كالتالي: «Le
premier palier de l'ascension nous sommes a mille mètres d'altitude, il
nous faut escalader se colle sur une dénivellation de plus de 600
mètres pour atteindre le plateau diffère c'est la progression se fait au
rythme des dromadaire. Soudain des cris déchire le silence du désert,
les chameliers a coup en glissant un dromadaire s'est effondré sous le
poids de son fardeau et on essaie de la remettre sur ses pattes. La bête
souffre énormément elle ne cesse de blâmer blessé son voyage s'arrête
la »

يلعب التعليق في الفيلم الوثائقي دورا محوريا في إثراء المحتوى وجعله أكثر تشويقا
وفهما للمشاهد، فهو بمثابة عنصر هام يكمل الصورة و يسد الفراغات، ويقدم شرحا للأحداث
التي قد لا تكون واضحة من خلال الصور، ومن خلال ربط المشهد بما تضمنه التعليق

نستطيع فهم كل العوائق والمخاطر التي صادفت الباحثين في رحلتهم مما يساعدنا في فهم مشاعرهم و دوافعهم.

الشكل 3: قوافل الباحثين المتجهين نحو كهوف الطاسيلي.



المصدر: مشهد مقتطف من الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir

ويتوالى العرض المشهدي ليعرض المخرج خريطة الجزء الجنوبي الجزائري موضحا مسار الرحلة الاستكشافية من نقطة الانطلاق إلى غاية نقطة الوصول، ثم يصور المخرج استعداد المستكشفين والمرشدين لشق الطريق وتحضير القوافل والأمتعة والمستلزمات اللازمة لانطلاق الرحلة سيرا على الأقدام نظرا لوعرة الطريق في جبل ايميدير، وفي هذا المشهد تعبير عن رحلة الحياة مع تحدياتها ومكافآتها والتغيرات المستمرة التي تطرأ عليها، كما أنه يعرض موضوع المثابرة والتكيف والبحث عن المعنى.

ثالثا: متتالية العراقيل والصعوبات التي واجهت المستكشفين:

كما نقل المخرج مشهد تخييم الفريق العلمي وسط الصحراء، حيث نرى أفراد الفريق يتقاسمون الطعام من نفس الصحن، في مشهد يجسد روح التعاون والتكافل الذي ميزهم. فهذا المشهد ليس مجرد لقطة عابرة إنما يحمل دلالات عميقة تعكس أهمية التعاون في تحقيق الأهداف حيث لا يمكن لأي فرد النجاح بمفرده في بيئة قاسية مثل الصحراء.

تحيلنا هذه التركيبة المشهدية أن هؤلاء الباحثين والمرشدين واجهوا العديد من الصعوبات لخوض هذه التجربة الصعبة، فعرضت هذه المرحلة من الفيلم الوثائقي حالة التعب والإرهاق التي تعرضوا إليها في هذه البيئة القاسية، حيث كانت اللقطة مرفقة بالتعليق التالي: " Nous voila enfin en vue du plateau d'façonne a 1684 mètres

" d'altitude, un des plus hauts plateaux de l'Immidir

وبطبيعة الحال أن تسلق كل هذه المسافة ليس بالأمر الهين، حيث كان توظيف هذه اللقطات والتركيبية الإيقونية من شأنه إيضاح مدى تقاني الفريق العلمي في كشف أسرار هذه المنطقة الفريدة والسعي وراء المعرفة والفهم سواء من حيث تكويناتها الجيولوجية أو تراثها الثقافي الغني. كما من شأنه أن يجسد قدرة الروح البشرية في التغلب على الشدائد وإحراز التقدم في أكثر الظروف قسوة نظرا للارتباط بهذا التراث والرغبة في الحفاظ على الأهمية الثقافية للمنطقة وفهمها.

رابعاً: متتالية وصول المستكشفين إلى الكهوف ونهاية الفيلم:

بعد رحلة شاقة عبر تضاريس الصحراء القاسية، تأتي لقطات وصول الفريق إلى كهوف الطاسيلي، وفي هذه اللحظات يملأ الفريق شعور الإثارة والرغبة أمام هذه الكنوز الأثرية التي ظلت مخبأة لآلاف السنين، متسائلين عن قصص الحضارات القديمة التي رسمتها. يبدأ الفريق في العمل مستخدماً أحدث التقنيات لتوثيق الرسوم الصخرية وتحليلها عن طريق المسح الدقيق للكهوف وتسجيل كل التفاصيل من ألوان الرسوم وأنواع الصخور التي أنجز عليها الرسم، كما يبحث الفريق عن أي مؤشرات وأدلة تساعد في فهم هذه الرسومات وسياقها التاريخي.

كما ركز المخرج كذلك على مشاركة السكان المحليون في عملية الاستكشاف التي كانت بشكل هادف في جميع مراحل العملية، مما ساهم في التعريف بالمنطقة وفهم تاريخها وثقافتها بشكل واضح وواقعي، عن طريق التركيز على توضيح اللغة المحلية في الفيلم لإضفاء نوع من التنوع والثراء على الفيلم وجعله أكثر دقة ومصداقية. كما أضفت مشاركة السكان المحليون أهمية بالغة للبحث من خلال توجيه وإرشاد الفريق العلمي وكذا تقديم معلومات ورؤى مختلفة تبين وجهة نظرهم حول هذا الإرث الثقافي، مما يساهم في تعزيز شعورهم بالملكية اتجاه تراثهم وإعطاء صفة الواقعية على الفيلم الوثائقي La Tassili de

l'Immidir, كما ساعدت مشاركتهم في هذه الحفريات على تفسير أغلبية الرسومات الصخرية والنقوش مما يساعد في نشر الوعي بأهمية الموقع والتاريخ والثقافة لمنطقة الطاسيلي ناجر.

ويمكن القول من خلال المشاهد الأخيرة للفيلم, أن التركيبة الفيلمية في مستوياتها الأيقونية سواء من حيث شكلها المتوازي أو من خلال تصميم فكرة المخرج المبنية أساسا في نقل واقع الرسومات الصخرية في الطاسيلي ناجر والمحافظة على هذا الإرث الثقافي والحضاري.

الشكل 4: الدراسة العلمية للفريق للرسومات الصخرية.



المصدر: مشهد مقتطف من الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir

الشكل 5: بعض الرسومات الصخرية التي تم الإشارة إليها.





المصدر: مشهد مقتطف من الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir

3. 5 نتائج التحليل:

قدّم هذا الفيلم عصارة المعلومات التاريخية والأنثروبولوجية حول تاريخ هذه الرسومات والمنحوتات المتواجدة في المنطقة من خلال دراسة الفترات الزمنية التي تنتمي إليها وكذا التقنية المستخدمة في إنجاز هذه الأعمال والألوان المستعملة، هذه الرسومات التي شهدت على حضارة الإنسان القديم وجسدت حياته في تلك الحقبة من عاداته ومعتقداته وممارساته الدينية، حيث ألّم هذا الفيلم الوثائقي بكل الدلالات والتعبيرات الرمزية التي عاشها الإنسان القديم في المنطقة، فكانت الصور المروج لها من خلاله تحمل معاني ومدلولات وقيم ثقافية تؤرخ للتاريخ والهوية. وبعد التحليل السيميولوجي للمتتاليات المختارة من الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir توصلنا لجملة من النتائج هي كالآتي:

- ✓ اختيار العنوان La Tassili de l'Immidir لم يكن عشوائيا، بل له دلالات ضمنية من شأنها وضع المشاهد داخل حلقة معرفية واضحة الأركان.
- ✓ من خلال افتتاح الفيلم الوثائقي بمشاهد اخبارية، يحدد المخرج ببراعة محور الفيلم الموضوعي.

- ✓ الاستعانة بالموسيقى التارقية كمؤثرات صوتية بغية التأثير في المشاهد وجذب انتباهه حول حقيقة الصحراء و ما تخفيه من كنوز أثرية.
- ✓ يعتبر التركيز على صوت الراوي دليلا جوهريا من شأنه شرح جل المعطيات الغامضة وتقديم معلومات جديدة للمشاهد.
- ✓ يجسد الفيلم محل الدراسة تفاصيل وواقع الرحلة العلمية للمستكشفين, حيث يتبع المخرج في فيلمه الوثائقي جميع محطات الرحلة ويصور بدقة التحديات والمغامرات التي واجهها الفريق.
- ✓ ركز المخرج في هذا الفيلم الوثائقي على الرسوم الصخرية حيث سلط الضوء على القيمة الفنية والتاريخية والثقافية لهذه الرسوم مما ساعد على إثارة الاهتمام بها.
- ✓ ركز المخرج على عرض تنوع الرسوم الصخرية من حيث الموضوعات والأساليب مما أظهر غناها وتنوعها.
- ✓ ساهم الفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir في تسليط الضوء على أهمية هذه الرسوم كمصدر لفهم تاريخ وثقافة المنطقة.
- ✓ ركز المخرج على ربط الرسوم الصخرية بالفترات الزمنية المختلفة التي تم إنشاؤها فيها, مما يساعد على فهم تطور الفن والثقافة في المنطقة عبر الزمن.
- ✓ ركز المخرج في هذا الفيلم على تعليقات خبراء الآثار لتفسير الرسوم الصخرية ووضعها في سياقها التاريخي.

4. خاتمة:

يحتل الفيلم الوثائقي دورا هاما ومهما في التعريف بالتراث، خاصة إذا تعلق الأمر بالرسوم الصخرية، حيث يساهم بشكل أكبر في نشر الوعي حول أهمية الموروث الثقافي والحضاري، لا سيما بين فئات المجتمع المختلفة، كذلك يسلط الضوء على القيمة التاريخية التي تحتلها هذه المواقع الأثرية والرسوم الصخرية مما ينمي الشعور بالفخر والانتماء اتجاه تراثنا. كما يقدم الفيلم الوثائقي عصارة المعلومات الموثقة من خلال الدراسات العلمية والاستكشافات التي يقوم بها الباحثين والمختصين، مما يساعد في فهم السياق التاريخي وفهم

المعاني والدلالات الضمنية التي تحويها هذه الرسومات، لذلك ومن خلال تطرقنا للفيلم الوثائقي La Tassili de l'Immidir نستنتج ما يلي:

✓ قدّم الفيلم الوثائقي محل الدراسة معلومات علمية حول تاريخ منطقة الطاسيلي للمشاهدين.

✓ قدّم الفيلم الوثائقي محل الدراسة معلومات عن الموقع الجغرافي للمنطقة و كيفية الوصول إليه.

✓ ساهم هذا الفيلم محل الدراسة في إنبات الوعي الثقافي والحضاري للمشاهد للتأكيد على إثبات الهوية النابعة من هذه الثقافة والحضارة العريقة.

✓ ساهم هذا الفيلم محل الدراسة في الترويج والتنشيط للسياحة الداخلية مما جعل من المنطقة وجهة سياحة ثقافية.

✓ ساهم هذا الفيلم محل الدراسة في التحفيز والتشجيع على البحث العلمي لهذه المواقع الأثرية.

✓ ساهم هذا الفيلم محل الدراسة في حفظ هذا التراث الثقافي والحضاري.

✓ ساعد هذا الفيلم الوثائقي محل الدراسة في التوثيق لهذه المواقع الأثرية وحماية هذه الرسومات من التلف والاندثار.

✓ قدّم الفيلم محل الدراسة عدّة رسائل مشفرة من شأنها التحذير من مخاطر التلف التي تهدد التراث الثقافي لذلك يشدد على ضرورة اتخاذ الإجراءات لحماية هذا الإرث والحفاظ عليه.

ومع ذلك لا تزال هناك العديد من الأسرار التي لم تكتشف حول الرسوم الصخرية في الطاسيلي ناجر، لذلك يوصي البحث في ظل ما تقدم بما يلي:

✓ تشجيع البحث العلمي حول تاريخ منطقة الطاسيلي وحول الرسومات الصخرية التي تحويها.

✓ الحرص على تشجيع و دعم إنتاج أفلام وثائقية عن الرسوم الصخرية.

- ✓ تطوير صناعة الأفلام الوثائقية التي تعرف بالرسوم الصخرية وتحسين جودتها.
- ✓ تعزيز التعاون الدولي في مجال صناعة الأفلام الوثائقية، مما يساعد على تبادل الخبرات والتجارب.
- ✓ التركيز على الدقة العلمية في محتوى الفيلم الوثائقي، من خلال الاستعانة بالخبراء في مجال الرسوم الصخرية.
- ✓ الحرص على بساطة ووضوح محتوى الفيلم الوثائقي ليكون استعابه سهلا على جميع الفئات الاجتماعية.
- ✓ الحرص على التنوع في محتوى الفيلم الوثائقي من خلال تناول مختلف الجوانب التاريخية والرمزية للرسوم الصخرية.
- ✓ الحرص على استخدام التأثيرات البصرية والصوتية بشكل دقيق لإضفاء جاذبية وتشويق للفيلم.
- ✓ العمل على عرض الفيلم الوثائقي على نطاق أشمل وعلى منصات مختلفة.

5. قائمة المراجع:

- أ.أيمن عبد الحليم نصار، إعداد البرامج الوثائقية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان/الأردن،.
- اعتدال عثمان، الواقع والتاريخ، مجلة فصول، 1982.
- باتريشنا أوفرهايدي، الفيلم الوثائقي - مقدمة قصيرة جدا، ط1، تر: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- د.بريك خديجة - أ آية حيدوسي، السياحة في السينما الوثائقية العالمية - قراءة في أعمال المخرج Yann Arthus Bertrand، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، 2019.
- د.بريك خديجة، الفيلم الوثائقي...مداخل للفهم والتفسير، مجلة آفاق سينمائية، 2021.
- ربيعة سفسي ومحمود إبراهيم، صورة المهاجر الغير شرعي عبر الفيلم الوثائقي - دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي Le piege، مجلة آفاق سينمائية، 2021.
- د.شقرن غوتي، الفيلم الوثائقي - مفهومه وأنواعه ومدارسه الفنية، منشورات مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، وهران، 2022.
- د.محمد نبيل طلب - د.صفا فوزي علي محمد عبد الله، الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، مصر.

-د.نهلة عبد الرزاق عبد الخالق، دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الفضائية، مجلة كلية الأدب، 2011.

المراجع الأجنبية:

-Bouzid OULD HOCINE (2024)-CMCA Centre mediterranéen de la communication audiovisuelle- <https://cmca-med.org/film/alger-fouille-sa-memoire./>

-David Couldonand and Alec Campbell- Rock Art of the Tassili n'Ajjer, Algeria- TARA Trust for African Rock Art- Kenya-2022.

-Passek, J,L-Dictionnaire du CINEMA- librairie Larousse-Paris-1986

6. هوامش:

¹ د.بريك خديجة، أ.آية حيدوسي-السياحة في السينما الوثائقية العالمية، قراءة في أعمال المخرج Yann Arthus Bertrand- أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية- المجلد 01- العدد 01- جامعة باتنة-الجزائر-ص276.

² Passek, J,L-Dictionnaire du CINEMA- librairie Larousse-1986-Paris.

³ د.بريك خديجة، أ.آية حيدوسي-السياحة في السينما الوثائقية-ص276.

⁴ د.بريك خديجة- الفيلم الوثائقي...مداخل للفهم والتفسير- مجلة أفاق سينمائية- المجلد 08- العدد 03- 2021-ص208.

⁵ د.نهلة عبد الرزاق عبد الخالق-دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الفضائية- مجلة كلية الأدب-العدد 98-2011-ص413.

⁶ ربيعة سفسي ومحمود إبراقن-صورة المهاجر الغير شرعي عبر الفيلم الوثائقي، دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي Le piege- مجلة أفاق سينمائية-المجلد 01- العدد 01- 2021-ص477.

⁷ د. شقرون غوتي- الفيلم الوثائقي، مفهومه وأنواعه ومدارسه الفنية- منشورات مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية-2022-وهران-ص38/39.

⁸ أ. أيمن عبد الحليم نصار- إعداد البرامج الوثائقية- دار المناهج للنشر والتوزيع ط1- 2007- عمان/الأردن-ص11.

⁹ د. محمد نبيل طلب، د. صفا فوزي علي محمد عبد الله- الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية- كلية الإعلام، جامعة القاهرة- مصر-ص04.

¹⁰ باتريشستا أوفدرايدي- الفيلم الوثائقي، مقدمة قصيرة جدا- تر: شيماء طه الريدي- مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة-ط1-مصر- ص10.

¹¹ اعتدال عثمان- الواقع والتاريخ- مجلة فصول-العدد03-1982-ص42.

¹² Bouzid OULD HOCINE –CMCA Centre méditerranéen de la communication audiovisuelle– 15/03/2024– [https://cmca-med.org/film/alger-fouille-sa-memoire./](https://cmca-med.org/film/alger-fouille-sa-memoire/)

¹³ David Couldon and Alec Campbell– Rock Art of the Tassili N'Ajjer, Algeria– TARA Trust for African Rock Art–2022– Kenya–p24.